## **الدرس الأول :**

## **مفهوم أصول الفقه ومراحل تطوره ونشأة مدرسة المتكلمين**

## أهداف الدرس

## 1-شرح فيها مفهوم الفقه وأصوله ليتجلى للطالب الغاية من هذا العلم طبيعة مسائله، ولنبين له العلاقة بين علم العقيدة وعلم أصول الفقه .

## 2-نتناول مراحل تطور علم أصول الفقه لنبرز نشأة مدرسة المتكلمين تاريخيا، ونستنتج تدرج المدرسة في التوغل في العلم ومراحل هذا التوغل إلى أن صارت تسمى مدرسة الجمهور؛ حيث سيطرت على مؤلفات المذاهب الثلاثة المالكية والشافعية والحنابلة.

## **المطلب الأول : مفهوم الفقه وأصول الفقه**

## **الفرع الأول : مفهوم "الفقه"**

فأما معنى الفقه في اللغة فهو فهم الشيء وإدراكه والعلم به.

وأما في الاصطلاح فمن أحسن التعاريف قول ابن الحاجب:« العلم بالأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية بالاستدلال». فقيد الفقه بالأحكام الفرعية لإخراج المسائل الاعتقادية، ومنهم من قيدها بالمسائل التي طريقها الاجتهاد، لكن لازم هذا اللفظ إخراج للمسائل الفقهية القطعية وهذا غير صحيح.

وكون هذا الحد فاصلا بين علم الفقه وغيره من العلوم لا شك فيه؛ ولكن إضافة الأصول إليه ربما أوهمت أن علم الأصول مختص بالفقه الاصطلاحي دون غيره، والواقع أنه منهج عام لأخذ الشريعة التي مبناها على نصوص الوحي، لذلك ظهر لي أنه ينبغي أن يفسر الفقه في هذا الموضع بما هو أعم وهو المعنى الشرعي للفقه المراد في قوله تعالى: فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ (التوبة:122)، وقوله :«من يرد الله به خيرا يفقه في الدين»(متفق عليه)، وهو شامل معرفة الأحكام الشرعية العلمية والعملية على حد سواء، وهو كما قال أبو حنيفة:"الفقه معرفة النفس ما لها وما عليها"، والقواعد الأصولية عندما تطبق على الأدلة الشرعية يستخرج منها أحكام كل العلوم سواء صنفت في الفقه أو العقائد أو التزكية والسلوك أو التفسير والحديث، أو غيرها من العلوم الحادثة كعلم النفس والتربية والاقتصاد والسياسة.

ولهذا جاء تسمية هذا العلم على لسان كثير من المتقدمين بأصول العلم، وأولهم الشافعي في الأم، ووصف أحمد بن حنبل رسالة الشافعي بأنها متضمنة لأصول العلم، وبوَّب ابن أبي حاتم لأقوال الشافعي في الأصول بقوله:« قول الشافعي في أصول العلم»، وقال ابن عبد البر في الجامع: «باب معرفة أصول العلم وحقيقته».

## **الفرع الثاني : مفهوم "أصول الفقه"**

فأما معنى الأصل في اللغة فهو الأساس وأسفل كل شيء، وأما في الاصطلاح فهو الدليل فيقال أصل المسألة بمعنى دليلها، ويدخل في معنى الدليل قواعد الاستدلال، ومنه فإن أصول الفقه هو أدلته أي الإجمالية.

وأما تعريف أصول الفقه باعتباره لقبا، فنقتصر في هذا الموضع على تعريف الجويني في الورقات، إذ قال :« طرق الفقه على سبيل الإجمال وكيفية الاستدلال بها »، فقد تضمن هذا التعريف معنيين اثنين: معرفة الأدلة ومعرفة طرق الاستدلال، فالتقى حسبه التعريف الإضافي بالتعريف اللقبي وقد وافقه على هذا غير واحد من الأصوليين المتأخرين.

والأدلة الإجمالية في الشرع: الكتاب والسنة والإجماع والقياس وما يلتحق بها ويكون من ضمنها كالاستصلاح وشرع من قبلنا وعمل أهل المدينة وقول الصحابي، ويقابلها الأدلة التفصيلية وهي أعيان نصوص الآيات والأحاديث والإجماعات والقياسات.

ويدخل في معنى "كيفية الاستفادة منها" قواعد الدلالات اللفظية المرتبطة بالكتاب والسنة: كالعموم والخصوص والمنطوق والمفهوم والإطلاق والتقييد والأمر والنهي، وكذلك شروط الاستدلال بالأدلة الإجمالية كخبر الواحد والإجماع والقياس وقول الصحابي، ويدخل فيها أيضا قواعد التعارض والترجيح.

## **المطلب الثاني : مراحل تطور أصول الفقه ونشأة مدرسة المتكلمين**

##### انحصرت مراحل أصول الفقه بعد تأسيسه في ثلاثة مراحل:

##### الفرع الأول : مرحلة التأسيس والاكتمال ونشوء مدرسة المتكلمين

بعد مرحلة التأسيس التي تنتهي بالشافعي الذي أبرز العلم للوجود تأتي المرحلة الثانية هي مرحلة الاكتمال وتمتد إلى نهاية القرن الرابع الهجري، وهي مرحلة سمتها البارزة خدمة المذاهب، لأن المصنفين فيه بعد الشافعي أكثرهم قد نصر أصول المذهب الذي ينتمي إليه، وكان دور المتكلمين فيها ضعيفا.

أما في عصر الشافعي فكانت هناك بوادر ظهور المنهج الكلامي على أيدي المعتزلة، وقد كانت له مناظرات أصولية معهم سجل بعضها في كتاب جماع العلم حول حجية خبر الواحد والقياس والاجماع ..ولا وجود للمتكلمين قبل هذا العصر.

**أولا : مؤلفات الفقهاء**

**1-المذهب الحنفي، و**أول مؤلفيهم وأشهرهم عيسى بن أبان (ت:221)، ومما وصلنا كتاب أبي بكر الجصاص (ت:370) الفصول في الأصول.

**2-المذهب المالكي،** وأول مؤلفيهم أصبغ بن الفرج المصري (ت:225)، وإسماعيل بن إسحاق القاضي (ت:282)، وابن خويز منداد (302)، ومما وصلنا مقدمة ابن القصار (ت:397).

**3-المذهب الشافعي،** وأما الشافعية فمؤلفاتهم كثيرة جدا ومن أشهر مؤلفيهم أبو بكر الصيرفي (ت:330)، له شرح الرسالة والدلائل والأعلام، ومع كثرة المؤلفات لم يصلنا منها شيء.

**4-المذهب الحنبلي،** أقدم من جمع مسائل أحمدفي الأصولهو أبو بكر الخلال (ت:311)، وتلاه عبد العزيز بن الحارث أبو الحسن التميمي (ت:371).

**5-المذهب الظاهري، أ**ول من صنف في أصوله داود بن علي الظاهري (ت:270)، ثم ابنه محمد (ت: 297) له كتاب الوصول إلى معرفة الأصول، ولأتباعه كتب لم يصلنا منها شيء.

**ثانيا : مؤلفات المتكلمين**

1-المعتزلة ، ومن مؤلفيهم إبراهيم النظام (ت:221)، وأبو علي الجبائي (ت:303)، وأبو القاسم الكعبي (ت:319)، وأبو هاشم الجبائي (ت:321)، وأبو عبد الله البصري (ت:399أو369).

2-الأشاعرة، وألف الأشعري (ت:324) إثبات القياس وكتاب الخاص والعام، وبرز في نهاية المرحلة الباقلاني (ت: 403) وابن فورك (ت:406).

3-وألف أبو منصور الماتريدي (ت:333) كتاب الجدل في أصول الفقه وكتاب مآخذ الشرائع.

##### الفرع الثاني : مرحلة التوسع وتغلغل مدرسة المتكلمين

يتلو عصر الاكتمال عصر التوسع وهو يمتد من بداية القرن الخامس إلى منتصف القرن السابع، وهو عصر كثرت فيه المصنفات، وانتجت فيه أعظم الموسوعات الأصولية التي لا تزال المورد والمصدر في هذا العلم، وتوسعت قضايا العلم وبرز فيه المتكلمون بآرائهم ومسائلهم، وهو توسع لا يعني التطور الإيجابي الذي يخدم العلم ويكمله، فقد قرر ابن عاشور أن العلم توقف بعد القرن الرابع لاقتصار المؤلفين فيه على النقل عن السابقين، وممن ذهب إلى رأي قريب مما اخترناه علي سامي النشار الذي قال إنه بحلول القرن الخامس انتهى تفكير المسلمين المبدع أو كاد ينتهي بسبب مزج المسلمين للمنطق الأرسطي بالأصول.

#### أولا : المذهب الحنفي

1-الفقهاء ، من أهم مصنفات هذا العصر تقويم الأدلة للدبوسي(ت:430) الذي قال عنه ابن خلدون:« كملت صناعة أصول الفقه بكماله وتهذبت مسائله وتمهدت قواعده»، وأهم منه عند الحنفية مختصر البزدةي المسمى بكنز الوصول إلى معرفة الأصول، والأصول للسرخسي (ت:490).

2-المتكلمون، فكان من الحنفية معتزلة كأبي الحسين البصري المعتزلي (ت:436) الذي ألف شرح العمد ثم المعتمد، وكان منهم ماتريدية كعلاء الدين السمرقندي (ت:539) صاحب ميزان الأصول في نتائج العقول، ومحمد بن عبد الحميد الأسمندي (ت:552) صاحب بذل النظر.

#### ثانيا : المذهب المالكي

1-الفقهاء، من أشهرهم في هذا العصر القاضي عبد الوهاب (ت:421) صاحب الإفادة في أصول الفقه والتلخيص، وأبو الوليد الباجي (ت:474) الذي ألف إحكام الفصول على مذهب المالكية بطريقة مقارنة وأدخل فيه آراء المتكلمين دون مسائلهم، وله الإشارة مختصر على مذهب المالكية.

2-المتكلمون، منهم المؤسس الثاني لطريقة المتكلمين الأشاعرة أبو بكر الباقلاني (ت:403) له عدة مصنفات منها التقريب والإرشاد، وسلك منهجا مستقلا عن المذهب المالكي. ومن أشهر من صنف على طريقة المتكلمين أبو عمرو ابن الحاجب (ت:646) الذي اختصر الإحكام للآمدي في منتهى السؤل والأمل، ثم اختصر المنتهى أيضا .

3-وصنف أبو بكر بن العربي (ت:543) التمحيص والمحصول في علم الأصول ونكت المحصول (مزج فيه بين الطريقة المالكية وآراء المتكلمين حيث سار على طريقة الجويني).

#### ثالثا : المذهب الشافعي

1-الفقهاء، أشهرهم في هذا العصر الشيرازي (ت:476) صاحب اللمع وشرحه، والتبصرة، وأعظم كتاب في أصول الشافعية في هذا العصر هو كتاب القواطع لابن السمعاني (ت:489).

2-المتكلمون، كان منهم معتزلة كالقاضي عبد الجبار (ت:415) الذي ألف العُمد والاختلاف في أصول الفقه، وكان منهم أشاعرة كابن فورك (ت:406)، والغزالي (ت:505) في المستصفى ،والرازي (ت:606) في المحصول، والآمدي (ت:631) في الإحكام في أصول الأحكام.

3-ومن الشافعية من مزج بين الطريقتين كالجويني (ت:478) صاحب البرهان في أصول الفقه.

#### رابعا: المذهب الحنبلي

1-الفقهاء، أشهرهم أبو يعلى الفراء (ت:458) صاحب العدة؛ الذي خرج فيه آراء أحمد واستفاد من جدل من سبقه من الشافعية والحنفية. وألف ابن قدامة (ت:620) روضة الناظر الذي اختصره من المستصفى للغزالي وحذف كثيرا من القضايا الكلامية وزاد فيه بيان مذهب الإمام أحمد.

2-ومن الحنابلة تأثر بطريقة المتكلمين كأبي الخطاب (ت:510) في التمهيد، الذي جمع فيه بين عدة أبي يعلى ومعتمد أبي الحسين، وابن عقيل (ت:513) في الواضح ، وقد كان متأثرا بالمعتزلة.

#### الفرع الثالث : مرحلة الجمود والانحطاط

بعد مرحلة التوسع تأتي مرحلة الجمود والانحطاط وتبدأ من منتصف القرن السابع كما حدها الخضري بك، وتمتد إلى عصر النهضة الحديثة؛ ونَصِفُ هذا العصر بعصر الانحطاط والجمود لأن الكتب المصنفة فيه غالبها مختصرات لكتب ألفت في المرحلة السابقة أو بعدها، أو شروح لها وحواش وتقييدات على الشروح، وأكثر ما اعتني به مؤلفات المتكلمين حيث اختفت كتب الفقهاء إلا قليلا.

#### أولا : المذهب الحنفي

1-أغلب مصنفات الحنفية في هذا العصر كانت شروحا لكتب العصر الماضي أو لمختصرات وضعت في هذا العصر، فقد اعتنى الحنفية بأصول البزدوي فشرحه جمع منهم: عبد العزيز البخاري (ت:730). ولحافظ الدين النسفي (710) منار الأنوار اختصره من أصول البزدوي وأصول السرخسي، وشرحه في كشف الأسرار، وقد اعتنى به الحنفية منذ عصر مصنفه.

#### 2-وصنف الحنفية أيضا الكتب التي عرفت بالكتب الجامعة بين الطريقتين، التي ابتدأها ابن الساعاتي (ت:694) في كتابه بديع النظام بين البزدوي والإحكام، وتبعه صدر الشريعة في تنقيح الأصول (747) الذي جمع فيه بين أصول البزدوي ومحصول الرازي ومنتهى السول لابن الحاجب، ثم شرحه في التوضيح في حل غوامض التنقيح، وشرح الشرح التفتازاني (793) في التلويح.

#### ثانيا : المذهب المالكي

1-أكثر مؤلفات المالكية في هذا العصر شروح للمستصفى للغزالي أو شروح لكتب الرازي أو شروح لمختصر ابن الحاجب ، وهي مؤلفات على طريقة المتكلمين.

2-ومن سار على طريقة الفقهاء قليلون كالشريف التلمساني في مفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول للشريف التلمساني (ت:771)، وهناك من جمع بين الطريقتين القرافي في التنقيح وشرحه .

#### ثالثا : المذهب الشافعي

1-اعتنى الشافعية في هذه المرحلة بكتب الرازي المحصول وفروعه اختصارا وشرحا، واعتنوا أيضا بشرح مختصر ابن الحاجب؛ واعتنوا كذلك بشرح المنهاج للبيضاوي، وألف تقي الدين السبكي مختصرا سماه جمع الجوامع فتتابع الشراح عليه.

2-وممن أحيا أصول الفقهاء الزركشي في البحر المحيط (ت:794) وأبو شامة المقدسي (ت:665)، والعلائي(ت761) في مؤلفات متعددة في مسائل الأصول.

#### رابعا : المذهب الحنبلي

1-اهتم الحنابلة في هذه المرحلة بروضة الناظر التي جمعت بين الطريقتين، ومن الكتب المصنفة على طريقة المتكلمين عند الحنابلة مختصر المحصول للطوفي، ومنهم من شرح المنهاج أو مختصر ابن الحاجب، ولابن مفلح (ت:763) مختصر حذا فيه حذو ابن الحاجب.

2-ووضع علاء الدين المرداوي (ت:885) مختصرا سماه تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول، أراد به إحياء أصول المذهب وشرحه في التحبير، ثم اختصر ابن النجار الفتوحي (ت:972) التحرير في الكوكب المنير، وشرحه في المختبر المبتكر.

**أسئلة لتعميق الفهم**

1-ما هو المعنى الذي ينبغي أن تحمل عليه كلمة فقه في "علم أصول الفقه " ليعبر عن الدور المنوط بعلم الأصول في بناء العلوم الإسلامية.

2-ما هي المراحل التي مر بها علم أصول الفقه ومتى سيطر المتكلمون على الدرس الأصولي؟ هل يمكن رسم مخطط لبيان نسبة توسع مدرسة المتكلمين حسب تلك المراحل.